الباب الخامس والأربعون: في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الأنساب وفيه فصول

الفصل الأول: في بر الوالدين وذم العقوق

قال الله تعالى: ﴿واعبُدوا الله ولا تُشرِكُوا به شيئاً وبالوالدَيْن إحساناً﴾[1] وقال تعالى: ﴿وقضى ربُّك أن لا تعبُدوا إلا إيَّاهُ وبالوالدَيْن إحساناً﴾[2] وقال تعالى: ﴿أنِ اشكُرْ لي ولوالدَيْكَ إليّ المصير﴾[3] وقال تعالى: ﴿فلا تقُلْ لهما أفٍّ ولا تنهَرْهُما وقل لهما قولاً كريماً * واخفِضْ لهما جناحَ الذُّلِّ من الرحمةِ وقُلْ ربِّ ارحَمْهُما كما رَبَّيَاني صغيراً﴾[4] وعن علي رضي الله عنه: لو علم الله شيئاً في العقوق أدنى من أفٍ لحرمه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. وقيل: إن رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين. وحكى أبو سهل عن أبي صالح، عن أبي نجيح، عن ربيعة، عن عبد الرحمٰن، عن عطاء بن أبي مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة، وكتب له براءة من النار». وقال رسول الله ﷺ: «إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجدُ ريحها عاق». وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قَدَمَ أمه فأبطأ يوماً على إخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات. وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة. فكان آخر كلامه: يا رب أوصني. قال: أوصيك بأمك حسناً قال له سبع مرات. قال: حسبي. ثم قال: يا موسى ألا إن رضاها رضاي وسخطها سخطي. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة، وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه. وقال فيلسوف: مَنْ عق والديه عقه ولده. وقال المأمون: لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم من نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده إلى الصباح، حتى استيقظ يحيى من منامه. وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء، فلما أتاه بالشربة نام أبوه، فما زال الولد واقفاً والشربة في

---

(١) سورة: النساء، الآية: ٣٦.
(٢) سورة: الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة: لقمان، الآية: ١٤.
(٤) سورة: الإسراء، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.

يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه. وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن لي أماً بلغ منها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أديت حقها، قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها. وقال ابن المنكدر: بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي. وقيل إن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه. وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه: إنك مِن أبرِّ الناس، ولا تأكل مع أمك في صحفة، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها.

الفصل الثاني: في الأولاد وحقوقهم وذكر النجباء والأذكياء والبلداء والأشقياء

قال رسول الله ﷺ: «الولد ريحانة من الجنة». وقال الفضل: ريح الولد من الجنة. وكان يقال: ابنك ريحانتك سبعاً، ثم حاجبك سبعاً، ثم عدو أو صديق. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: قلت لسيدي رسول الله ﷺ: يا رسول الله هل يولد لأهل الجنة؟ قال: «والذي نفسي بيده، إن الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي إليه في ساعة واحدة». وقيل: من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره. وقال رضي الله تعالى عنه: أكثروا من العيال فأنكم لا تدرون بمن ترزقون. وقال شبيب بن شبة: ذهب اللذات إلا من ثلاث: شم الصبيان، وملاقاة الأخوان، والخلو مع النسوان. ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب. فقال: انبذها عنك فانهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو ذلك، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأخوان إلا هنَّ. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك حببتهنَّ إليّ. وقيل لرجل: أي ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يحضر. وقال ابن عامر لأمرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية: إن ولدت غلاماً فلك حكمك. فلما ولدت، قالت: حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان، من فالوذج، وأن تعلق بألف شاة. ففعل لها ذلك. وغضب معاوية على يزيد فهجره، فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، وإن لم يسألوا فابتدئهم، ولا تنظر إليهم شزراً[1] فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك. فقال معاوية: يا غلام إذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل إليه مائتي ألف درهم، ومائتي ثوب. فقال يزيد: من عند أمير المؤمنين؟ فقيل له: الأحنف. فقال يزيد بن معاوية: عليّ به فقال: يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة.

وحكى الكسائي أنه دخل على الرشيد يوماً فأمر باحضار الأمين والمأمون ولدَيْه، قال: فلم يلبث قليلاً أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما، وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمداً عن يمينه، وعبد اللّه عن يساره، ثم امرني أن ألقي عليهما أبواباً من النحو فما سألتهما شيئاً إلا أحسنا الجواب عنه، فسرّه ذلك سروراً عظيماً وقال: كيف تراهما؟ فقلت:

---

(١) شزراً: بمؤخرة العين على هيئة الغضبان.

أرى قمـرَي أفـقٍ وفَـرْعَـي شـآمـة ... يـزينُهمـا عـرقٌ كـريـمٌ ومحتـدُ
سليلَـي أميـر المـؤمنيـن وحـائـزَي ... مـواريـثَ مـا أبقـى النبـيُّ محمَّـدُ
يسـدَّان أنفـاقَ النفـاقِ بشيمـةٍ ... يـزينُهمـا حـزمٌ وسيـفٌ مهنَّـدُ

ثم قلت: ما رأيت، أعز الله أمير المؤمنين، أحداً من أبناء الخلافة. ومعدن الرسالة، وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسناً، ولا أحسن ألفاظاً، ولا أشد اقتداراً على الكلام روية وحفظاً منهما، أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الإسلام تأييداً وعزاً، ويدخل بهما على أهل الشرك ذلاً وقمعاً. وأمن[1] الرشيد على دعائه ثم ضمهما إليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره، ثم أمرهما بالخروج. وقال: كأنكم بهما وقد دهم القضاء، ونزلت مقادير السماء، وقد تشتت أمرهما، وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور. وكان يقال: بنو أمية دن[2] خل، أخرج الله منه زق عسل، يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. وسبَّ إعرابي ولده وذكر له حقه فقال: يا أبتاه إن عظيم حقك عليّ لا يبطل صغير حقي عليك. قال سيدي عبد العزيز الديرني رحمه الله تعالى:

أحـبُّ بنيتـي ووددتُ أنـي ... دفَنـتُ بنيَّتـي فـي قـاعِ لحـدِ[3]
ومـا بـي أن تهـونَ عليَّ لكـنْ ... مخـافـةَ أن تـذوقَ الـذلَّ بعـدي
فـإن زوَّجْتُهـا رجـلاً فقيـراً ... أراهـا عنـدَهُ والهـمُّ عنـدي
وإن زوجتُهـا رجـلاً غنيّـاً ... فيلطـمُ خـدَّهـا ويسـبُّ جـدِّي
سـألـتُ الله يـأخـذُهـا قـريبـاً ... ولـو كـانَـتْ أحـبَّ النـاسِ عنـدي

وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم:

أرى ابنـي تشـابَـهَ مـن علـي ... ومـن يحيـى وذاك بـه خليـقُ
وإن يشبههمـا خلقـاً وخُلقـاً ... فقـد تسـري إلـى الشبـهِ العـروقُ

وقال أبو النصر مولى بني سليم:

ونفـرحُ بـالمـولـودِ مـن آل بـرمـكٍ ... ولا سيمـا إن كـانَ مـن ولـد الفضـلِ

وقال الحسن بن زيد العلوي:

قـالـوا عـقيـمٌ ولـم يـولـد لـه ولـدٌ ... والمـرءُ يخلـفُـهُ مـن بعـدِهِ الولـدُ
فقلـتُ مَـنْ علقَـتْ بـالحـربِ همَّتُـهُ ... عـافَ[4] النسـاءَ ولـم يكثـر لـه عـددُ

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده يقول:

أزهـرُ مـن آل بنـي عتيـقِ ... مبـاركٌ مـن ولـد الصَّـديـقِ

---

(١) أمن الرشيد: قال آمين.
(٢) الدَّن: وعاء.
(٣) اللحد: القبر.
(٤) عاف النساء: لم يقبل عليهن.

ألـــــذه كمـــــا ألـــــذُّ ريقـــــي

وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول:

يـــا حبَّـــذا ريـــحُ الـــولـــدْ ... ريـــحَ الخـــزامـــى فـــي البلـــدْ
أهكـــــذا كـــــلُّ ولـــــدْ ... أم لـــــم يلـــــدْ مثلـــــي أحـــــدْ

وكان أعرابي يرقص ولده ويقول:

أحبُّـــه حـــبَّ الشحيـــحِ مـــالَـــهُ ... قـــد ذاقَ طعـــمَ الفقـــرِ ثـــمَّ نـــالَـــهُ
إذا أراد بَـــذْلَـــهُ بـــدا لـــه[1]

وكان لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية، والأخرى غلاماً فرقصته أمه يوماً. وقالت معايرة لضرتها:

الحمـــدُ لله الحميـــدِ العـــالـــي ... أنقـــذَنـــي العـــامَ مـــن الجـــوالـــي[2]
مـــن كـــلِّ شـــوهـــاءَ كشَـــنٍّ بـــالـــي ... لا تـــدفـــعُ الضيـــمَ عـــن العيـــالِ

فسمعتها ضرّتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول:

ومـــا علـــيَّ أن تكـــونَ جـــاريَـــهْ ... تغســـلُ رأســـي وتكـــونُ الفـــاليَـــهْ[3]
وتـــرفـــعُ الســـاقـــطَ مـــن خمـــاريَـــهْ ... حتـــى إذا مـــا بلغَـــتْ ثمـــانيَـــهْ
أزَرْتُهـــا بنقبـــةٍ يمـــانيَـــهْ ... أنكَحْتُهـــا مـــروانَ أو معـــاويَـــهْ
أصهـــارُ صـــدقٍ، ومهـــورٌ غـــاليَـــهْ

قال: فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال، وقال: إن أمها حقيقة[4] أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها. فقال معاوية: لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة، فبعث إليها بمائتي ألف درهم. والله أعلم.

ومما جاء في الأولاد البلداء القليلي التوفيق: قيل: نظر أعرابي إلى ولد له قبيح المنظر فقال له: يا بنيّ إنك لست من زينة الحياة الدنيا. وقال رجل لولده وهو في المكتب: في أيّ سورة أنت؟ قال: لا أقسم بهذا البلد، ووالدي بلا ولد. فقال: لعمري مَنْ كنت أنت ولده فهو بلا ولد. وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء[5] للبئر طوله عشرون ذراعاً، فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: يا أبت عشرون في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك يا بنيّ. وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب يا عبد اللّه، فلم يجبه ذلك

(١) بدا له: أي بدا له بداءً.
(٢) الجوالي: التطواف.
(٣) الفاليه: التي تفلي الشعر، تنطفه.
(٤) حقيقة: جديرة.
(٥) الرشاء: الحبل يكون للبئر.

الشاب. فقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد اللّه تعني؟ فالتفت أبو حمزة إليه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شاباً: يا حمزة، فقال حمزة بن الأعرابي كلنا حماميز الله، فأي حمزة تعني؟ فقال له أبوه: ليس يعنيك يا من خمد الله به ذكر أبيه. وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم، فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر إليه ثم قال:

عقلُـــهُ عقـــلُ طـــائـــر وهـــو فـــي خلقـــةِ الجمَـــلْ

فأجابه:

مشبـــهٌ بـــكَ يـــا أبـــي ليـــس لـــي عنـــك منتقَـــلْ

ونهى أعرابيّ ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال:

أمـن شـربـةٍ مـن مـاء كـرم شـربتُهـا غضبْـتَ عليّ الآن طـابَـتْ لـي الخمـرُ
سـأشـربُ فـاسخَـطْ لا رضيـتَ كـلاهمـا حبيبٌ إلـى قلبي، عقـوقُـك[1] والسكـرُ

وقيل: قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر.

ومما جاء في صلة الرحم: قال رسول الله ﷺ: «صلة الرحم منجاة للولد مثراة للمال» وقيل: وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية: أنا الله ذو بكة[2] خلقت الرحم، وشققت لها أسماء من أسمائي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته أي قطعته. وقال رسول الله ﷺ: «أعجل الخير ثواباً، صلة الرحم» وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار أنه قال: والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوب: يا ابن آدم اتقِ ربَّك، وبرّ والدَيْك، وصَلْ رَحِمَكَ أزِدْ في عمرك، وأُيَسِّرْ لك في يسيرك، وأصرِفْ عنك عسيرك. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السرّ تطفىء غضب الرب جلّ وعلا، وصلة الرحم تزيد في العمر» وذكر تمام الحديث.

الفصل الثالث: في ذكر الأنساب، والأقارب، والعشيرة

قال عمر رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم، فتصلوا بها أرحامكم. وقيل: لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء[3]، لكان تعلُّمها من أحزم الرأي، وأفضل الثواب، ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا: ﴿ولولا رهطُكَ لرجَمْنَاك﴾[4] فأبقوا عليه لرهطه. وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها. وسئل

(١) عقوقك: معصيتك.
(٢) ذو بكة: غلبة وشدة.
(٣) الأكفاء: الأنداد.
(٤) سورة: هود، الآية: ٩١.

عيسى عليه السلام: أيّ الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من تراب وقال: أي هاتين أشرف؟ ثم جمعهما وطرحهما، وقال: الناس كلهم من تراب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1]. كان أبو كبشة جدّ رسول الله ﷺ من قبل أمه، فلما خالف رسول الله ﷺ دين قريش قالوا: نزعه عرق أبي كبشة، حيث خالفهم في عبادة الشعرى. وقال خالد بن عبد اللّه القسري سألت واصل بن عطاء عن نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه، فقال نسبي الإسلام الذي مَنْ ضيّعه فقد ضيع نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه، فقال خالد: وجه عبد وكلام حرّ. ومن كلام عليّ كرم الله وجهه: أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول وهم العدّة عند الشدّة أكرم كريمهم، وعد[2] سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم. وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك، ولم تعطه من مالك فقد قطعته. ويقال حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر، وحنو الأكبر على الأصغر. قال رسول الله ﷺ: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على والده» قال بعضهم:

وإذا رزقتَ من النوافلِ ثروةً ... فامنَحْ عشيرتَكَ الأدانى فضلَهَا
واعلَمْ بأنَّك لا تُسوّدُ فيهم ... حتى ترى دمثَ الخلائقِ سهلَهَا

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) وعد: زر المريض.